حقيقة اللفظ

بين

أهل اللغة وأهل الأصول

بحث في «أصول الفقه»

إعداد

د. أحمد بن محمّد بن حمود اليمانى

الأستاذ المساعد بقسم القضاء

بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة أم القرى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تمهيـــد:

الحمد لله الذى يسر سبيل العلم وجعل لطالبه ثواباً معجّلاً ومؤجّلاً، وله الشّكر أن جعل من بعض عباده لآياته متدبراً ومتأمّلاً، وعَدَ عباده بالعفو والمغفرة ولمن جاءه سائلاً ومؤمّلاً، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له شهادة من خاف الرّجوع إلى ربّه والموئلا، نطقت آياتُه ببديع صفاته فجلّ الإلٰه وجلّ ربّاً قائلا: {وَرَبُّكَ الغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ العَذَابَ بَلْ لَهُم مَّوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلا}(١). كتاب أحكمت آياتُه ثَم فُصّلت لإسعاد العباد تكرّماً وتفضّلا، وأشهد أنّ سيّدنا ونبيّنا محمّداً عبد الله ورسوله أشرف الخلق وأزكاهم عند مليكهم فاضلاً ومفضّلا، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه السابقين وإلى الخيرات كانوا أوائلا، اختارهم ربّهم واصطفاهم لصحبة نبيّه فهم للمكرمات معاقلا، وعلى التابيعن لهم بإحسان إلى يومٍ يجمع الله فيه الأولين والآخرين، وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد: فهذا مبحثٌ لطيف من مباحث أصول الفقه، لا يخلوا كتاب من كتب أصول الفقه من ذكره، ولا يسع أحد من العلماء جهله، ألا وهو (مبحث الألفاظ) وهذا المبحث يحتاجه الفقيه والأصولى، واللغوى والنحوى، والمنطقى والبيانى، فله علاقة بكل هذه الفنون، والعلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ بحثوا هذا الأمر فى كتبهم كل فيما يتعلق بعلمه، والذى يهمنا هنا هو بحث الأصوليين له.

ومباحث الألفاظ فى كتب الأصول تتناول موضوعات شتى، ومسائل متفرقة، فمنهم من يدرسها من حيث الإطلاق والتقييد، ومنهم من يدرسها من حيث العموم

---

(١) القرآن الكريم الآيه «٥٨» من سورة الكهف.

والخصوص، ومنهم من يدرسها من حيث الإجمال والتبيين، أو الخفاء والوضوح ونحوها وقد بحثت هذه المواضيع فى كتب وأبحاث مستقلة، ولكن لم أجد من تكلم عن الألفاظ من حيث هى ألفاظ، من ناحية التعريف والتقسيم، وذكر أنواع العلاقة بين الألفاظ مع بعضها البعض، ونسبة هذه الألفاظ إلى معانيها، فهو مبحث مهم، لذلك لم يغفله أحد من علماء اللغة أو الأصول أو المنطق.

ولما لم أجد من طرق هذا الموضوع من قبل فى بحث أو رسالة علمية أحببت أن أكون أول من يفتح هذا الباب علنى بذلك أن أسبق إلى ما لم أسبق إليه، فاستعنت الله عزوجل وتوكلت عليه، وأسأله سبحانه وتعالى أن يمن على بكرمه، وأن يفتح علىّ من واسع علمه ورحمته، إنه سميع عليم.

المبحث الأول

خطة البحث:

سيكون هذا البحث ـ بإذن الله تعالى ـ فى مقدمة وفصلين وخاتمة

أما المقدمة فستكون فى تمهيد ومبحثين:

المبحث الأول: خطة البحث

المبحث الثانى: منهجى فى هذا البحث.

وأما الفصل الأول فهو فى: مباحث الألفاظ، ويشتمل على (أربعة) مباحث

المبحث الأول: سبب اختيار الموضوع.

المبحث الثانى: الدراسات السابقة لهذا البحث.

المبحث الثالث: اللفظ أحد وسائل التعبير.

المبحث الرابع: تعريف اللفظ فى اللغة والإصطلاح.

وأما الفصل الثانى فهو فى: العلاقة بين اللفظ وغيره ويشتمل على (أربعة) مباحث.

المبحث الأول: العلاقة بين اللفظ والصوت.

المبحث الثانى: العلاقة بين اللفظ والكلام.

المبحث الثالث: العلاقة بين الكلام والجملة.

المبحث الرابع: العلاقة بين اللفظ والقول.

الخاتمة: وسأذكر فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج بإذن الله تعالى.

المبحث الثانى

منهجى فى هذا البحث

سأتبع بإذن الله تعالى المنهج العلمى فى كتابة هذا البحث، معتمداً على المصادر الأصلية فى اقتباس المعلومات أو التوثيق أو النقل، ملتزماً إحالة كلّ معلومة إلى مصدرها، أو قائلها من كتابه مباشرةً أو أقرب ناقل عنه ـ إن كان كتابه مفقوداً ـ.

ـ مرتباً المصادر فى الهامش حسب الترتيب الزمنى لوفاة مؤلفى تلك الكتب.

ـ وإن كانت المسألة خلافيةً بين أهل اللغة والأصول ذكرت مصادر أهل اللغة أولا ثم مصادر أهل الأصول، وكذا إن كانت بين أهل النحو والأصول،و أما إذا كانت المسألة بين أهل الأصول والمنطق قدمت أهل الأصول أولا.

ـ كما ألتزمت بالتعريف الموجز لكل من ورد ذكره فى ثنايا البحث من العلماء.

ـ أقوم بتحقيق المسألة بتحرير محل النزاع فيها، ثم أذكر أقوال العلماء وأدلتهم، ثم أقوم بتمحيصها وتدقيقها لمعرفة الراجح من المرجوح منها، ثم أذكر الراجح من أقوالهم مع الدليل أو التعليل.

الفصل الأول

فى مباحث الألفاظ. ويشتمل على أربعة مباحث

المبحث الأول: سبب اختيار الموضوع.

المبحث الثانى: الدراسات السابقة لهذا البحث.

المبحث الثالث: اللفظ أحد وسائل التعبير.

المبحث الرابع: تعريف اللفظ في اللغة والاصطلاح.

المبحث الأول

سبب اختيار الموضوع:

سبق أن ذكرت أن موضوع الألفاظ من المواضيع المهمة التى لها علاقة بعلم الفقه والأصول والمنطق والنحو، فكل يأخذ من هذا الموضوع حسب حاجته، ويدرسه من الوجهة التى يريدها، وعلماء الأصول تطرقوا إلى هذا المبحث ضرورة تعلق علم الأصول بالألفاظ ودلالاتها، فأفردوا مباحث للألفاظ، وأفردوا مباحث للدلالات، ولكن دراستهم لها وذكرهم لهذه المباحث فى كتبهم كانت موجزة، بل قد تكاد تكون ملغزة فى كثير من الأحيان (١).

ونظرت أيضاً فى كتب المتأخرين ورسالات الجامعيين وأبحاث الفضلاء فلم أجد من وقف على هذا المبحث مع عظيم خطره، وكبير قدره، وسيتبين من خلال البحث ـ إن شاء الله تعالى ـ مدى أهمية هذا الموضوع وتعلقه بجميع مباحث أصول الفقه، بل وجميع الألفاظ المنطوقة، والمعانى المفهومة سواء نطق بها الشرع الحكيم، أو نطق بها سيد المرسلين أو تكلم بها عامة البشر فى خطاباتهم وأقوالهم أو كتاباتهم.

وكثيراً ما يختلف اثنان ـ بل وأقوام ـ على فهم لفظ أو نص، فيفهم هذا من لفظ معين دلالة معينة أو معنى معين، بينما لا يفهم الآخر ذلك، إن لم يكن فهم شيئا آخر من نفس ذلك اللفظ. ومعلوم أن ألفاظ اللغة العربية منها المشترك، ومنها المترادف، ومنها الأضداد، ومنها المؤتلف، ومنها المختلف، ومنها المتباين وغيرها. والله عزوجل نزل كتابه بلفظ عربى مبين قال تعالى (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) (٢).

---

(١) أنظر مثلاً: منهاج البيضاوي، ومختصر المنتهي لابن الحاجب، والإحكام للآمدي في مباحث الألفاظ.
(٢) من آيه «٢» من سورة يوسف.

وسيّد البشر ﷺ أفصح الفصحاء، وأبلغ البلغاء تكلّم باللغة العربية، وتذوق العلماء فنون الأدب والبلاغة والفصاحة من كلامه ﷺ، وتعرفوا أساليب اللغة وفن المنطق مما نطقت به آيات الكتاب والحكمة، وكان يتحدث بنعمة ربّه عليه فيقول: (أوتيت جوامع الكَلِم واختصر لى الكلامُ اختصاراً)(١).

لذلك يجب على من أراد فهم كلام الله تعالى وكلام نبيه ﷺ أن يقف على ما تدعو إليه الحاجة من هذا العلم، يقول الفخر الرازى (٢). فى كتابه «المحصول»: (لما كان المرجع فى معرفة شرعنا إلى القرآن والأخبار، وهما واردان بلغة العرب ونحوهم وتصريفهم،

(١) أخرجه البيهقي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في «شعب الإيمان»: الباب الرابع عشر، باب حب النبي ﷺ: فصل في بيان فصاحته وبلاغته: ٢/ ١٦٠ (١٤٣٥)، وأخرجه الدارقطني عن ابن عباس رضي الله عنه ـ عن كتاب النوادر: ٤/ ١٤٤/ ١٤٥، وأخرجه البيهقي أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «بعثت...» قال السيوطي في «الجامع الصغير»: (حديث حسن) ونسبه إلي أبي يعلي.
وأخرج البخاري ومسلم نحوه عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: (بعثت بجوامع الكلم) ولم يذكر فيه (واختصر الكلام لي اختصارا) صحيح البخاري: كتاب التعبير، باب رؤيا الليل: ٦/ ٢٥٦٨ (٦٥٩٧) وفي مواضع أخر، صحيح مسلم: كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد: ٢/ ٦٤٦ (٢٨٩٢).

(٢) هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، أبو عبدالله، المعروف بـ«فخر الدين» ولد بالري سنة ٥٤٥ هـ، كان عالماً محققا، ثاقب الرأي، جيد النظر، وكان مع ذلك رقيق القلب إذا استوي للوعظ يبكي فيبكي، وكان يعظ باللسانين العربي والعجمي، من مصنفاته: «المحصول» «المنتخب» «المعالم» «إبطال القياس» وكلها في أصول الفقه، وصنف في المنطق والحكمة والفلسفة. مات ـ رحمه الله تعالي ـ سنة ٦٠٦ هـ يوم عيد الفطر المبارك.
ينظر ترجمته في: [وفيات الأعيان: ٤/ ٢٤٨ ـ ٢٥٢ (٦٠٠)، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٥٠٠ ـ ٥٠١ (٢٦١) طبقات السبكي: ١/ ٨١ ـ ٩٦ (١٠٨٩)، طبقات ابن قاضي شهبة: ٢/ ٨١ ـ ٨٤ (٣٦٦)]

كان العلم بشرعنا موقوفاً على العلم بهذه الأمور «وما لا يتم الواجب المطلق إلا به وكان مقدوراً للمكلف فهو واجب».

ولما رأيت تنازع العلماء وانتقادهم عند شرح تعريف أوحد من الحدود لمن جاء بكلمة (لفظ) فى التعريف، وبوجه انتقاده ويبين سببه، نرى فى الجانب الآخر من لا يرى صحة هذا الانتقاد والتوجيه، فمثلاً عندما يعرف العلماء (العام) يقولون: هو لفظ يستغرق جميع ما يصلح له، نرى شراح هذا التعريف يقولون: بأن اللفظ جنس بعيد، وهو مجتنب فى الحدود، فكان ينبغى أن يقال (كلمة) أو (قول).

لذا رأيت أن أخوض غمار هذا البحث، وأحببت أن أتبين هذا الفرق الدقيق فى هذه المسألة وأبينه لإخوانى، على الله عزوجل أن ينفعنى وينفعهم، مستعينا به تبارك وتعالى، ومتوكلا عليه، وهو حسبى ونعم الوكيل.

المبحث الثانى

الدراسات السابقة لهذا البحث

لم أجد من علماء الأصول من أفرد هذا الموضوع ببحث مستقل، ولكنا نجدهم يكتبون عنه أثناء حديثهم عن الأصل الأول من أصول الفقه وهو (القرآن الكريم) فيبحثون عن الدلالات والألفاظ، ومنهم من يجعل مبحث الدلالات والألفاظ مبحثاً مستقلاً قبل الدخول فى مباحث (القرآن، والسنة، والإجماع، والقياس) والمناظرة يجعلونه باباً أصيلاً من أبواب كتبهم، وكذلك اللغويين والبيانيين.

وقد تطرق كثير من الباحثين المحدثين فى اللغة عن المعنى وعلاقته باللفظ، وأيهما أسبق وجوداً اللفظ أم المعنى؟ مثل كتاب «قضية اللفظ والمعنى وأثرها فى تدوين البلاغة العربية فى عهد السكاكى» لسعادة الدكتور/ على محمد حسن العمارى، وهى رسالة علمية نال بها درجة الدكتوراة من جامعة الأزهر عام ١٩٦٧م.

وكذلك كتاب سعادة الدكتور/ محمد محمد داود «الدلالة والكلام دراسة تأصيلية لألفاظ الكلام فى العربية المعاصرة فى إطار المناهج الحديثة «وهى أيضا الأصل رسالة علمية نال بها المؤلف درجة الماجستير من كلية دار العلوم بمصر عام ١٩٩٣م. وغيرها من الدراسات، لكنها لم تتطرق إلى موضوع هذا البحث من حيث دراسة اللفظ وتعريفه، والعلاقة بينه وبين القول، وأيهما أولى فى الحدود؟ والعلاقة بينه وبين الكلمة والكلام، وأقسامه وما يعرض له، إلى غير ذلك من المباحث التى ستذكر فى هذا البحث ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وكذلك كتاب «قضية اللفظ والمعنى فى التفكير النقدى بنى القديم والحديث» رسالة علمية نالت بها الطالبة: عفاف السيد خليل حلوانى، درجة الدكتوراة من كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى.

المبحث الثالث

اللفظ أحد وسائل التعبير

خلق الله الإنسان وميزه عن سائر الحيوان بالنطق، وجعل له لسانا يتكلم به ويعبر به عما فى نفسه، وامتن الله عزوجل بذلك على هذا المخلوق فقال جل من قائل (ألم نجعل له عينين. ولسانا وشفتين) (١). فكان حقا على هذا المخلوق أن يشكر نعمة الله عليه، ويعلم أنه محاسب على كل كلمة تلفظها هذه الجارحة (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) (٢).

ومن المعلوم أن الإنسان لا يفهم أخاه الإنسان ولا يدرك مبتغاه إلا بعد معرفة المعانى المختلجة فى صدره، وهذه المعانى هى ما تجيش بها النفس فتطفح بها عباراته، أو تعبر عنها ملامحه أو تفيض بها عيناه، أو يرمز له بها صوته، فتارة يعبر الإنسان عن المعانى التى فى نفسه بكلام، أو حركات، أو إشارات، أو رموز، أو أمثلة ينصبها أمام من يتحدث إليه أو أصوات، وقد تكون مشاعر خفية لا تظهر على الإنسان إلا عندما تغرغر عيناه من الدموع إما فرحا وإما ترحا،

أو عندما يصفر وجهه وجلا أو يحمر خجلا (٣).

---

(١) الآيتان (٨. ٩) من سورة البلد.

(٢) الآيه (١٨) من سورة ق.

(٣) يقول الشاعر:

تفاحة جمعت لونين خلتهما ... خدي محب ومحبوب قد اعتنقا

تعانقا فربا واش فراعهما ... فاحمر ذا خجلا واصفر ذا فرقا

فهذه كلها من الوسائل التي يعبر بها الإنسان عما في ضميره. أنظر: آداب البحث والمناظرة، للشيخ الأمين محمد الشنقيطي: ١٣/١. وقد جعل الإسنوي ـ رحمه الله ـ الكتابة من جملة الطرق أيضا فقال: (واعلم أن الكتابة من جملة الطرق أيضا) نهاية السول: ١٥/٢.

فهذه كلها طرق يستطيع الإنسان أن يعبر بها عن مشاعره أو عن المعاني المختلجة في صدره، والذي يهمنا من هذا كله هو تعبير الإنسان عما في نفسه بالكلام (مفهوم) المشتمل على الألفاظ الدالة على معانيها المرادة له، والمفهومة سلفاً عند سامعه، وهو المراد من قول العلماء: الألفاظ الدالة على معانيها بالوضع، هذه المعاني التي في النفس هي واحدة بعينها لجميع البشر، وإنما يختلف التعبير عنها باختلاف اللغات يقول ابن رشد[1]: «إن الألفاظ التي ينطق بها هي دالة أولا على المعاني التي في النفس، والحروف التي تكتب دالة أولا على هذه الألفاظ، وكما أن الحروف المكتوبة - أعني الخط - ليس هو واحد بعينه ولذلك كانت لجميع الأمم، كذلك الألفاظ التي يعبر بها عن المعني ليست هي واحدة بعينها عند جميع الامم، كذلك هاتين بتواطؤ لا بالطبع وأما المعاني التي في النفس فهي واحدة بعينها للجميع»[2]. ومن أجل ذلك أفردت اللفظ ودلالته في هذا البحث.

وعلى كل فالعلماء قد اتفقوا على أن وسيلة التخاطب بين البشر - أي اللفظ المعبر - هي أنجح الوسائل وأسلم الطرق في التعبير عما في النفس، إذ بها يتم الخطاب، ويدرك المقصود، ويستغنى بها عن كثير مما لاحاجة إليه، مع ما في ذلك من اليسر والسهولة التي في هذه الوسيلة، على ذلك يمكن أن أجمل الأسباب التي دعت العلماء إلى تفضيل الخطاب على غيره في ما يلي:

---

(١) هو: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد، أبوالوليد ابن رشد الشهير بالحفيد، من أهل قرطبة وقاضي الجماعة بها، ولد سنة ٥٢٠ هـ قبل وفاة جده أو الوليد بن رشد بشهر، درس الفقه والأصول والحكمة والطب وعلم الكلام وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية، له مصنفات كثيرة منها: «بداية المجتهد ونهاية المقتصد»، «مختصر المستصفي»، «الكليات» في الطب، «تهافت التهافت»، «الضروري» في العربية، «تلخيص كتاب أرسطوطاليس» وغيرها كثير، توفي - رحمه الله - سنة ٥٩٥ هـ.
ينظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء: ٢١/٣٠٧ - ٣١٠، الوافي بالوفيات: ٢/١١٤ - ١١٥ (٤٥٠)، الديباج المذهب: ٢/٢٥٧ (٧٦)، النجوم الزاهرة: ٦/١٥٤، شذرات الذهب: ٤/٣٢٠».
(٢) تلخيص كتاب أرسطوطاليس، لابن رشد: ص ١٣ - ١٤.

أولاً:

كون اللفظ أكثر فائدة من غيره من الإشارة والمثال، حيث يمكن التعبير به عن الذوات - أي المشخصات المحسوسات في الخارج -، كما يمكن التعبير به عن المعاني المختلجة في النفوس، كذلك يمكن التعبير به عن الموجودات والمعدومات، والحاضر والغائب، والحادث والقديم، وغير ذلك.

ثانيا:

كون اللفظ أكثر وقعا في النفس من غيره، وأشد تأثيراً لدى السامع، لأن الكلام هو الموضوع للبيان، وكلام العباد يحصل باللفظ، ولما جعل الله تعالى من خاصية في النفس عند السماع من تحريك القلب واستمالته، لذلك عاتب الله عزوجل أقواما ما تأثرت قلوبهم بالسماع

فقال جل من قائل: (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق)[1]. ومدح آخرين حين قال: (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع) [2].

ثالثا:

كون اللفظ أيسر من غيره من الإشارة والحركة والمثال، لأن الحروف المكونة للألفاظ عبارة عن كيفيات - أي أصوات - تعرض لنفس الإنسان عند خروجه من فمه فيستغله باستخدام مخارج الحروف من فمه، فتظهر الحروف ومن ثم الكلمات [3].

---

(١) من الآيه (١٦) من سورة الحديد.
(٢) من الآيه (٨٣) من سورة المائدة.
(٣) وسيأتي مزيد بيان في مبحث (علاقة اللفظ بغيره) ص (٢٢) من هذا البحث إن شاء الله.

يقول الطوفي [1]. في شرحه على المختصر:

(فأما صوت المتكلم فهو أيضا عرض حاصل عن اصطكاك أجرام الفم - وهي مخارج الحروف - ودفع النفس الهواء حتى يصل إلى أذن السامع متكيفا بصورة كلام المتكلم)[2].

وبناء على هذه الأمور[3] يقول الرازي[4]: (ولهذه الأسباب وغيرها[5] اتفقوا على اتخاذ الأصوات المتقطعة معرفات للمعاني لا غير)[6].

---

(١) هو: سليمان بن عبدالقوي بن عبدالكريم بن سعيد الصرصري، أبو الربيع نجم الدين الطوفي، البغدادي الحنبلي، الفقيه الأصولي، ولد سنة ٦٥٧ هـ بقرية (طوفي) من أعمال صرصر، كان قوي الحافظة، شديد الذكاء، حفظ الخرقي والمحرر في الفقه، واللمع في النحو، وقرأ العربية والتصريف والأصول والفرائض والمنطق، يقول ابن رجب: ركان مع ذلك كله شيعيا منحرفا في الاعتقاد عن السنة من مصنفاته: «مختصر الروضة وشرحه» «معراج الوصول إلي علم الأصول» «الإكسير في قواعد التفسير» «بغية السائل في أمهات المسائل». توفي سنة ٧١٦ هـ.
ينظر ترجمته في (الذيل علي طبقات الحنابلة: ٣٦٦/٤ - ٣٧٠ (٤٧٦)، الدرر الكامنة: ٢٤٩/٢ - ٢٥٢ (١٨٥٠)، المقصد الأرشد: ٤٢٥/١ - ٤٢٦ (٤٥١)، بغية الوعاة: ٥٩٩/١ - ٦٠٠ (٧٢١٠).

(٢) شرح مختصر الروضة: ٥٣٨/١.

(٣) أنظر هذه الأمور أو الأسباب في: المحصول، للرازي: ٢٦١/١/١ - ٢٦٤، الموصل شرح المفصل للسفناقي: ٥٠/١، شرح مختصر الروضة، للطوفي: ٥٣٨/١ - ٥٤٠، بيان المختصر، للأصفهاني: ١٤٩/١ - ١٥٠، نهاية السول، للإسنوي: ١٤/٢ - ١٥، البحر المحيط، للزركشي: ٩/٢، شرح الكوكب المنير، لابن النجار: ١٠٣/١.

(٤) سبق التعريف به ص (٨) من هذا البحث.

(٥) أي غير الأسباب الثلاثة المذكورة آنفا كقصورة الإشارة عن الإفادة بالغرض مثلا، فإن الشيء ربما كان بحيث لا يمكن الإشارة إليه حسا، وكذلك المثال قد يبقي بعد انقضاء الحاجة إليه فيقف عليه من لا يراد وقوفه عليه، وكذلك عسر انضباط المعرفات للمعاني لكثرتها وعدم تناهيها، وغير ذلك.

(٦) المحصول: ٢٦٤١/١.

المبحث الرابع

تعريف اللفظ في اللغة والإصطلاح

تعريف اللفظ في اللغة:

قال ابن فارس[1]. في «معجم مقاييس اللغة»:{اللام والفاء والظاء كلمة صحيحة تدل على طرح الشيء، وغالب ذلك أن يكون من الفم، تقول: لفظ بالكلام يلفظ لفظا)[2] وقال الأزهري[3]: (واللفظ لفظ الكلام، قال الله عزوجل: **(ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)**[4].}[5].

---

(١) هو: أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب، أو الحسين المشهور بـ(ابن فارس) ولد سنة ٣٢٩ هـ رحل إلي بغداد واستقر بهمدان، وكان نحويا بارعا، ولغويا أديبا وشاعرا، إلي جانب ذلك كان فقيها أصوليا، وكان شافعيا ثم تحول إلي المذهب المالكي، له مصنفات كثير في التفسير والفقه والأصول والنحو والأدب واللغة وفقه اللغة منها: «المجمل» «معجم مقاييس اللغة» «فقه اللغة» «غريب إعراب القرآن» وغيرها. توفي سنة ٣٩٥ هـ.
ينظر ترجمته في: {نزهة الألباء: ص٢٣٥ - ٢٣٧، إنباه الرواة: ٩٢/١ - ٩٥ (٤٤)، معجم الأدباء: ٩٨/٨٠/٤ (١٣)، وفيات الأعيان: ١١٨/١ - ١٢٠ (٤٩)، بغية الوعاة: ٣٥٢/١ - ٣٥٣ (٦٨٠)}

(٢) ٢٥٩/٥.

(٣) هو: محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة بن نوح، أبو منصور الأزهري، الهروي الشافعي، ولد بهراة سنة ٢٨٢ هـ، خرج للحج عام ٣١٢ هـ فأسرته القرامطة في تلك السنة وبقي في أسرهم دهراً طويلاً، وكان أكثرهم أعرابا فأفاد من مخاطباتهم في اللغة شيئا كثيراً، من مصنفاته «تهذيب اللغة»، «الأدوات»، «الزاهر في غريب ألفاظ الإمام الشافي»، «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير»، «التقريب في التفسير»، «تفسير إصلاح المنطق» وغيرها كثير، توفي - رحمه الله - سنة ٣٧٠ هـ.
ينظر ترجمته في: {معجم الأدباء: ١١٢/٥ - ١١٣ (٧٨٥)، وفيات الأعيان: ٣٣٤/٤ - ٣٣٦ (٦٣٩) سير أعلام النبلاء ٣١٥/١٦ - ٣١٧ (٢٢٢)، طبقات الشافعية، لابن السبكي: ٦٣/٣ - ٦٨ (١٠٧)}

(٤) الآيه (١٨) من سورة ق.

(٥) تهذيب اللغة: ٣٨٢/١٤.

فالأصل فى اللفظ هو: الرمى، والملفوظ هو: الكلام، ثم استعير اللفظ للملفوظ فأصبح المرمى به من الفم ملفوظا سواء كان الرمى به حرفا أو غيره، يقال: تلفظ فلان بكذا، أى تكلم[1].

وقد صرح علماء اللغة أن اللفظ والقول والكلام كلها فى اللغة بمعنى واحد، تطلق على كل حرف من حروف المبانى ومن حروف المعانى، سواء كان مفيدا إفادة فى نفسه أو لا، لكن اشتهر بأن ما يخرج من الفم فهو ملفوظ، ولذا لا يقال: لفظ الله[2].

وأما تعريفه فى الاصطلاح:

فقد تعددت تعريفات العلماء له وإن كانت فى مجملها تحقق معنى واحدا، ولكن منهم من نظر إلى أنواعه فى نفسه فقال فى تعريفه: (هو ما يتلفظ به الإنسان حقيقة أو حكما مهملا كان أو مستعملا) حقيقة كزيد، وحكما كالضمير المستتر فى قولك مثلا (قم) المقدر بـ(أنت)، كما يشمل الألفاظ المهملة وهى: التى لم تستعملها العرب لمعان، وقيل هى: التى لا معنى لها أصلا، كديز مقلوب زيد، والمستعملة هى: سائر الألفاظ التى يستعملها الناس فى خطاباتهم وكلامهم.

(١) انظر: تهذيب اللغة: ٣٨١/١٤، معجم مقاييس اللغة: ٢٥٩/٥، النهاية في غريب الحديث: ٢١٠/٤، تاج العروس: ٢٧٤/٢٠، لسان العرب: ٤٦١/٧، المصباح المنير، للفيومي: ص٥٥٥.

(٢) أنظر: الرشاد في شرح الإرشاد، للشريف الجرجاني: ص٦٢، تاج العروس: ٢٧٤/٢٠ ـ ٢٧٦.

ومنهم من نظر إلى نوعه فى جنسه ولكن من غير تحقيق ما هيته، وهو مارضيه كثير من النحاة وعلى رأسهم بن هشام[1]. ولذا عرفه بقوله: (اللفظ هو الصوت المشتمل على بعض الحروف الهجائية تحقيقا أو تقديرا)[2]. وعند بعض المؤلفين المحدثين اللفظ هو: صوت أو مجموعة أصوات تواضع الناس على أن تكون جزءا من الحديث لتنقل بينهم فكرة من الأفكار[3].

ولكن سبق لنا من نتيجة المبحث الأول أن الحروف الهجائية إنما هى نتيجة تقطيع الصوت وإخراجه بكيفية مخصوصة يتولد منها حروف الهجاء، لا أن يكون الصوت مشتملا على بعض الحروف الهجائية، وعلى هذا فالصواب فى تعريفه أن ينظر نوعه فى جنسه مع تحقيق ما هيته ولهذا عرفه كثير من العلماء بقوله: {اللفظ صوت مسموع معتمد على مخرج من مخارج الحروف)[4].

(١) هو: عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله، أبو محمد جمال الدين بن هشام الأنصاري، ولد بالقاهرة سنة ٧٠٨ هـ، تفقه علي مذهب الشافعي ثم تحنبل فحفظ مختصر الخرقي قبيل وفاته، تخرج به جماعة من العلماء، قال عنه ابن خلدون: مازلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحي من سيبويه، من مصنفاته: «الإعراب عن قواعد الإعراب»، «الألغاز»، «أوضح المسالك إلي ألفية ابن مالك»، «التذكرة»، «التحصيل والتفصيل لكتاب التذييل والتكميل» وغيرها، توفي رحمه الله سنة ٧٦١هـ.
ينظر ترجمته في {الدرر الكامنة: ٤١٥/٢ ـ ٤١٧ (٢٢٤٨)، الدليل الشافعي: ٣٩٢/١ ـ ٣٩٣ (١٣٥١) بغية الوعاة: ٦٨/٢ ـ ٧٠ (١٤٥٧)، البدر الطالع، للشوكاني: ٤٠٠/١ ـ ٤٠٢ (١٨٤)}.

(٢) أوضح المسالك: ١١/١، وانظر أيضا: قضية اللفظ والمعني، د/علي العماري: ص٣٦.

(٣) قضية اللفظ والمعني، د/علي العماري: ص٣٦.

(٤) أنظر: شرح مختصر الروضة، للطوفي: ٥٣٩/١، الإقليد، للجندي: ١٥٢/١، الموصل شرح المفصل للسغناقي: ٥٥/١، شرح الكوكب المنير، لابن النجار: ١٠٤/١.

فالصوت جنس[1] . في التعريف يشمل اللفظ وغيره من الأصوات الصادرة من الإنسان، واللفظ نوع[2] للصوت، لأنه صوت مخصوص.

وبهذا يتضح أن اللفظ باتفاق أهل اللغة والنحو والأصول والمنطق هو: ما يصدره الإنسان ويلفظه من فمه على هيئة حروف هجائية، وعلى هذا فاللفظ جنس يشمل الكلام والقول والكلمة والكلم، سواء كان ذلك الكلام مهملا أو مستعملا، مفيدا أو غير مفيد، ظاهرا أو مستترا[3].

---

(١) الجنس: هو الكلي المقول علي كثيرين مختلفين بالحقائق في جواب ما هو؟ كالحيوان بالنسبة للإنسان والصوت بالنسبة للفظ، واللفظ بالنسبة للكلام، ونحوه.
والجنس أمر إضافي فهو بالنسبة لما فوقه نوع، ولما تحته جنس، فالأجناس متصاعدة الأعلي منها بعينه إلي ما لا جنس فوقه فيسمي (جنس الأجناس) كالجوهر، ومتنازلة إلي ما لا جنس تحته وهو الجنس القريب وما بينهما هو الوسط. فالصوت بالنسبة للفظ جنس قريب، وبالنسبة للقول جنس بعيد، وبالنسبة للكلام جنس وسط.
أنظر: معيار العلم، للغزالي: ص ٧٦، التهذيب في علم المنطق، للتفتازاني: ص٣٦، إيضاح المبهم في معاني السلم: ص٤٦ ـ ٤٧، الحدود البهية في القواعد المنطقية: ص٢٤، العضد علي ابن الحاجب: ٧٦/١.

(٢) النوع: هو الكلي المقول علي كثيرين متفقين بالحقائق في جواب ما هو؟ كالإنسان أو الفرس إذا سألنا عن ما هية كل منهما. وما قيل في الجنس من أنه إضافي فكذلك النوع، فالحيوان جنس للإنسان والفرس إلا أنه أيضا نوع للجسم، أي نوع من أنواع الأجسام، وهكذا.
أنظر: معيار العلم: ص٧٦، التهذيب في علم المنطق، للتفتازاني: ص٣٧، الحدود البهية في القواعد المنطقية: ص٢٥، العضد علي ابن الحاجب: ٧٦/١ ـ ٨٧.

(٣) أنظر: الرشاد في شرح الإرشاد: ص٦١، التعريفات، للجرجاني: ص١٥٦، مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، للسيوطي: ص٣٤، التوقيف للمناوي: ص٦٢٣، الكليات، للكفوي: ١٦٧/٤ جامع العلوم للأحمد نكري: ١٧٤/٣، شرح ابن عقيل: ١٤/١، إيضاح المبهم: ص٤٣.

الفصل الثاني

في العلاقة بين اللفظ وغيره ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: في العلاقة بين اللفظ والصوت.

المبحث الثاني: في العلاقة بين اللفظ والكلام.

المبحث الثالث: في العلاقة بين الكلام والجملة.

المبحث الرابع: في العلاقة بين اللفظ والقول.

العلاقة بين اللفظ وغيره

من خلال ما سبق تبين أن اللفظ نوع من أنواع الأصوات التى يصدرها الإنسان وعرفنا ما هو معنى اللفظ؟ فأردت أن أبين فى هذا المبحث بعض ما يتعلق باللفظ كالصوت والكلمة والكلام والجملة، لتعلق بعض هذه الأمور على هذه ولقرب معانيها من معانى اللفظ، بل اشتباه معناها بمعنى اللفظ أردت أن أميط اللثام عن هذه الألفاظ، وأبين الفرق بين هذه الكلمات من خلال هذه المباحث:

المبحث الأول: فى العلاقة بين اللفظ والصوت.

المبحث الثانى: فى العلاقة بين اللفظ والكلام.

المبحث الثالث: فى العلاقة بين الكلام والجملة.

المبحث الرابع: فى العلاقة بين اللفظ والقول.

المبحث الأول

العلاقة بين اللفظ والصوت

لا تتبين العلاقة بين شيئين إلا إذا عرف ما هية كل واحد منهما، فيظهر من خلالها الأمور المشتركة والأمور المتباينة، ثم تظهر العلاقة بين ذينك الشيئين ولنبدأ بتعريف الصوت.

فالصوت هو:

عرض مسموع حاصل من انضغاط الهواء بين الجرمين فيتموج تموجا شديدا فيخرج فيقرع صماخ الأذن فتدركه قوة السمع[1] وعلى هذا فالصوت عرض وليس بجوهر، إذ هو معنى ذهنى ليس بمتحيز ولا يمكن أن يشار إليه، ولا يمكن وجود صوت من غير وجود مصدر له.

وهو ما اتفق عليه علماء العصور المتأخرة من أن الأصوات عبارة عن ذبذبات تنتقل خلال بعض الأجسام، وإن كان الهواء - أو الوسط الغازى - أفضل وأيسر الوسائط لنقل تلك الذبذبات، وهذه الذبذبات ذات ترددات متفاوتة سببها اهتزاز الأجسام، وبعض تلك الاهتزازات لا تدرك بالعين المجردة، وبسبب تلك الذبذبات يتضاغط الهواء ويتخلخل حتى يصطدم بجسم آخر، فإن اصطدام بصماخ الأذن أدركتها على شكل صوت مختلف فى حدته أو خشونته، أو ضعفه أو قوته، وهو ما عبر عنه

---

(١) أنظر: شرح مختصر الروضة، للطوفي: ٥٣٨/١، التعريفات، للجرجاني: ص١١٣، شرح الكوكب المنير: ١٠٣/١، التوقيف، للمناوي: ص٤٦٤، الكليات، للكفوي: ١١٩/٣، المعجم الوسيط: ٥٤٧/١.

(٢) الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس: ص ٦ - ٧، شرح مختصر الروضة، للطوفي: ٥٣٨/١.

الشيخ الرئيس أبو على بن سينا[1] . فى كتابه «أسباب حدوث الحروف» حيث قال: {أظن أن الصوت سببه القريب تموج الهواء دفعة بسرعة وبقوة من أى سبب كان}[2] . وهذا الصوت يختلف تسميته باعتبار ما هو قائم به، فعلى سبيل المثال الحاصل من اصطكاك السحاب يسمى (رعدا) وهو صوت، والصادر من الحصان يسمى (صهيلا) وهو صوت، ومن الغراب (نعيقا)، والحاصل من اصطكاك أجرام الفم بالنسبة للإنسان يسمى (صوتا) فإن بان منه حرف أو أكثر سمى (لفظا) وإلا سمى باعتبار ما هو حاصل بذلك الإنسان من فرح فيسمى (ضحكا) ومن حزن يسمى (بكاء) ومن ألم يسمى (أنينا)، إذن فكل ما خرج من فم الإنسان فهو صوت.

أما اللفظ:

فهو ما سبق تعريفه بأنه (صوت مسموع معتمد علي مخرج من مخارج الحروف) ويتبين من هذا أن اللفظ نوع من أنواع الأصوات التي يصدرها الانسان فاللفظ مجموعة حروف يتحكم الإنسان فى كيفية إخراجها من فمه بواسطة ما حباه الله عزوجل من قدرة على التحكم فى مخارج الحروف، فيقطع هذا الصوت بكيفية عجيبة من خلال النفس الذى يستنشقه فيستفيد منه بإخراج هذه الحروف، يقول ابن سينا: {وأما حال التموج من جهة الهيئات التى يستفيدها من المخارج والمحابس فى مسلكه فيفعل الحرف، والحرف هيئة للصوت عارضة له}[3] .

(١) هو: الحسين بن عبدالله بن الحسن بن علي البلخي ثم البخاري، أبو علي بن سينا، الفيلسوف والحكيم المشهور، والطبيب الموثوق به، حفظ القرآن وأتقن الأدب ولم يجاوز العاشرة، حفظ أشياء من أصول الدين والحساب والهندسة والجبر، ثم بدأ بدراسة المنطق فأتقنه حتي صار من حكماء الإسلام، تقلد منصب الوزارة لشمس الدولة، من مصنفاته: «الإشارات والتنبيهات»، «القانون»، «الشفاء»، «النجاة»، «منطق المشرقيين»، «المعاد»، «الأدوية القلبية»، «الهداية»، «الأوسط» وغيرها، توفي سنة ٤٢٨ هـ بهمدان. ينظر ترجمته في:{تاريخ حكماء الإسلام، للبيهقي: ص٥٢ ـ ٧٢ (٢٧)، وفيات الأعيان: ١٥٧/٢ ـ ١٦٢ (١٩٠)، سير أعلام النبلاء: ٥٣١/١٧ ـ ٥٣٧، الوافي بالوفيات: ٣٩١/١٢ ـ ٤١٢ (٣٦٨)}.

(٢) ص ٥٦.

(٣) أسباب حدوث الحروف: ص٦٠.

ولعل سعادة الدكتور أحمد مختار عمر يزيد هذا الأمر توضيحا فيقول: [عندما يستعد الإنسان للكلام العادى يستنشق الهواء فيمتلىء صدره به قليلاً، وإذا أخذ فى التكلم فإن عضلات البطن تتقلص قبل النطق بأول مقطع صوتى، ثم تتقلص عضلات القفص الصدرى بحركات سريعة تدفع الهواء إلى أعلى عبر الأعضاء المنتجة للأصوات وتواصل عضلات البطن تقلصاتها فى حركة بطيئة مضبوطة إلى أن ينتهى الإنسان من الجملة الأولى فإذا فرغ منها فإن عملية الشهيق تملأ الصدر ثانية وبسرعة استعدادا للنطق بالجملة التالية، وهكذا.

ومعنى هذا أن العملية الكلامية تتم فى شكلها الأساسى عن طريق التحكم فى هواء الزفير الصاعد من الرئتين، ولا نعلم لغة تعتمد على هواء الشهيق فى إنتاج الصوت، وإن أمكن أن تنتج أصوات خلال عملية الشهيق لكن هذا إن حدث يكون استثناء فقط، ومثل هذه الأصوات تسمع بين الأطفال، ونحن نستعملها فى حالة النشيج أو الانتحاب، وتختلف العملية الكلامية عن التنفس العادى فى أن الثانى يتم بصورة صامتة فى العادة لتحرك تيار الهواء دون عوائق، أما العملية النطقية فلا يمر الهواء معها حراً طليقاً ـ كما يحدث فى حالة التنفس ـ وإنما يصادف الهواء فى اندفاعه إلى الخارج أنواعا من الضغط والكبح والتعويق، والهواء يكبح يولد صوتا][1] .

وعلى هذا فالصوت أعم من اللفظ، فكل لفظ صوت ولا ينعكس، ولذا لما عرف اللفظ قيل هو: صوت، فالصوت جنس، واللفظ أحد أنواعه[2] .

(١) دراسة الصوت اللغوي: ص٩١ ـ ٩٢، وانظر أيضا: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس: ص١٠ ـ ١٢.

(٢) انظر: شرح مختصر الروضة: ٥٣٨/١ ـ ٥٣٩، شرح الكوكب المنير، لابن النجار: ١٠٤/١ ـ ١٠٥، الكليات، للكفوي: ١١٩/٣.

المبحث الثاني

العلاقة بين اللفظ والكلام

سبق تعريف اللفظ أنه صوت صادر من الإنسان، لذا يجب علينا أن نذكر تعريف الكلام حتى يتبين لنا الفرق بينه وبين اللفظ.

فالكلام في اللغة هو:

اسم لكل ما يتكلم به سواء كان مفيدا أو غير مفيد، وعلى هذا فكل ما يتلفظ به الإنسان ويخرجه من فمه من حروف يسمى في اللغة كلاما سواء كان لفظا مفردا أو مركبا، وسواء أفاد هذا المركب معنى أو لم يفد، وسواء كان هذا المعنى قائما بالنفس أو ملفوظا، وسواء أيضا كان هذا الملفوظ به مستعملا أو مهملا، فكل ذلك في اللغة يسمى كلاما، وعلى هذا فالكلام في تعريفه اللغوي ينطبق على ما ينطبق عليه تعريف اللفظ[1].

وفي إصطلاح النحاة هو:

[اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها] فيتبين من هذا التعريف أنهم اشترطوا فيما يطلق عليه كلام عندهم أربعة شروط[2]:

(١) أنظر: تهذيب اللغة: ٢٦٤/١٠، المصباح المنير: ص٥٣٩ مادة (كلم)، الصاحبي، لابن فارس ص٨٧، شرح ابن عقيل: ١٤/١، الكليات، للكفوي: ٩٩/٤، الإحكام، للآمدي: ٥٥/١.

(٢) انظر: الصاحبي، لابن فارس: ص٨٧، مغني اللبيب، لابن هشام: ٣٧٤/٢، أوضح المسالك: ١١/١، الإقليد، للجندي: ١٥٦/١، الموصل، للسغناقي: ٥٨/١، شرح ابن عقيل: ١٤/١، التعريفات، للجرجاني ص١٥٠، التوقيف، للمناوي: ص٦٠٧، الكليات، للكفوي: ١٠١/٤.

الشرط الأول:

اللفظ، فيشترط في الكلام عندهم أن يكون ملفوظاً ليخرج بذلك المكتوب والنفساني وكل صوت لا يطلق عليه لفظ، وقولهم: (اللفظ) جنس يشمل الكلام والكلمة والكلم، كما يشمل المهمل والمستعمل ـ كما سبق قبل قليل في تعريف الكلام.

الشرط الثاني:

التركيب، أي يشترط في اللفظ حتى يسمى عندهم كلاما أن يكون مركبا من كلمتين أو أكثر، وقد أجمع النحاة على أن الكلمة لا يطلق عليها كلام عندهم[1]، وهذا الشرط وإن لم يكن مذكورا صراحة في التعريف السابق إلا أنه متضمن له، وقد صرح به أكثر النحويين، يقول الزمخشري[2] . في «المفصل»: [الكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الاخرى][3]،

وبمثله قال ابن مالك[1] . في كتابه «التسهيل»[2] .

(١) نقل هذا الإجماع الإمام فخر الدين الرازي في كتابه «المحصول»: ٢٣٨/١/١، وقال: [ونقلوا فيه نصا عن سيبويه].

(٢) هو: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الزمخشري، أبو القاسم الخوارزمي، النحوي اللغوي المفسر، ولد سنة ٤٦٧ هـ، الملقب بجار الله، لأنه جاور بمكة زمانا، حنفي المذهب معتزلي المعتقد، مجاهرا به داعية إليه كان واسع العلم، غاية في الذكاء وجودة القريحة، علامة في النحو والأدب، من مصنفاته: «الكشاف» في تفسير القرآن، «الفائق» في غريب الحديث، «أساس البلاغة» في اللغة، «المفصل» في النحو «شافي العي من كلام الشافعي»، «شقائق النعمان» وغيرها، توفي ليلة عرفة سنة ٥٣٨ هـ.
ينظر ترجمته في [معجم الأدباء: ١٢٦/١٩ ـ ١٣٥ (٤١)، وفيات الأعيان: ١٦٨/٥ ـ ١٧٤ (٧١١) سير أعلام النبلاء: ١٥١/٢٠ ـ ١٥٦، بغية الوعاة، للسيوطي: ٢٧٩/٢ ـ ٢٨٠ (١٩٧٧)].

(٣) ص ٦.

الشرط الثالث:

الإسناد، وهو الإضافة[٣]، ولا يكون إلا عند التركيب، أي: كلمتان أو أكثر أسندت إحداهما إلى الأخرى، وهذا الشرط وإن لم يكن مذكورا صراحة أيضا في التعريف السابق إلا أنه متضمن له، لأن اللفظ لا يكون كلاما في اصطلاحهم إلا إذا كان مفيداً ـ كما سيأتي في الشرط التالي، وقد سبق التصريح به عند البعض كما تبين في الشرط السابق ـ.

الشرط الرابع:

الإفادة، وقولهم: (المفيد) قيد أخرج المهمل. وقولهم: (فائدة يحسن السكوت عليها) قيد أخرج الكلمة، وكذلك بعض الكلم إن لم يحسن السكوت عليه، وكذلك أخرج الكلام النفساني فلا يسمى في عرف النحاة كلاما، لأنه لم يمكن الوقوف عليه حتى نحكم عليه بحسن السكوت عليه أو عدمه.

وأما في إصطلاح أهل الأصول:

---

(١) هو: محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن مالك الطائي، أبو عبدالله جمال الدين الجياني الشافعي ولد بجيان من مدن الأندلس سنة ٦٠٠ هـ، ارتحل للعلم والحج، والتقى بعدد كبير من علماء عصره، من مصنفاته: «المنظومة الكبري» الكافية الشافية في نحو ثلاثة آلاف بيت وخلاصتها الألفية المشهورة في نحو ألف بيت، «تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد» وغيرها، توفي ـ رحمه الله ـ بدمشق سنة ٦٧٢ هـ.
ينظر ترجمته في [طبقات الشافعية، لابن السبكي: ٦٧/٨ ـ ٦٨ (١٠٧٨)، البداية والنهاية لابن كثير ٢٦٧/١٣، طبقات القراء، لابن الجزري: ١٨٠/٢ ـ ١٨١ (٣١٦٣)].

(٢) حين عرفه بقوله: [الكلام ما تضمن من الكلم إسنادا مفيدا مقصودا لذاته] المساعد على التسهيل ٥/١.

(٣) ومنه قول الأعشي:

لو أسندت ميتا إلي نحورها ... عاش ولم ينقل إلي قائم
حتي يقول الناس مما رأوا ... يا عجبا للميت الناشر

أنظر: الإقليد، للجندي: ١٥٦/١، الموصل، للسغناقي: ٥٩/١.

فقد رأيتهم في كتبهم على فريقين:

الفريق الأول:

وافق أهل اللغة في تعريفهم الكلام بأنه ما صدر من الإنسان من الحروف وأفاد معنى في ذاته ولو كان كلمة واحدة فإنه يسمى كلاما، وهو قول أكثر الأصوليين[١].

منهم أبو الحسين البصري[٢].

والقاضي أبو يعلى[٣] وأبو الخطاب الكلوذاني[٤]. حيث قال أبو الحسين في تعريفه للكلام: [هو ما انتظم من الحروف المسموعة المتميزة المتواضع على استعمالها في المعاني][٥]. وربما زاد بعضهم فقال: [إذا صدر عن قادر واحد] إحترازا عن الكلمة الواحدة إذا صدرت حروفها كل حرف من شخص فإنه لا يسمى كلاما[١]. وبهذا

---

(١) أنظر: المعتمد، لأبي الحسين البصري: ١٠/١، العدة، لأبي يعلي: ١٨٥/١، التمهيد، للكلوذاني ٧٠/١، المستصفي، للغزالي: ٣٣٣/١، المحصول، للرازي: ٢٣٥/١/١ ـ ٢٣٧، الإحكام للآمدي ٥٥/١، التحصيل، للأرموي: ١٩٣/١، التقرير والتحبير: ٨٧/١.

(٢) هو: محمد بن علي بن الطيب، أبوالحسين البصري، أحد أئمة المعتزلة، كان يشار إليه بالبنان في علمي الأصول والكلام، وكان فصيحا بليغا يتوقد ذكاء، من مصنفات: «المعتمد»، «شرح العمد»، «غرر الدلة»، «تصفح الأدلة»، «شرح الأصول الخمسة»، وغيرها، توفي سنة ٤٣٦ هـ.
ينظر ترجمته في: [تاريخ بغداد: ١٠٠/٣ (١٠٩٦)، وفيات الأعيان: ٢٧١/٤ (٦٠٩)، سير أعلام النبلاء: ٥٨٧/١٧ ـ ٢٨٨ (٣٩٣)، الوفي بالوفيات: ١٢٥/٤ (١٦٢٨)].

(٣) هو: محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء، نسبة إلي خياطة الفراء وبيعها، القاضي أبو يعلي، ولد سنة ٣٨٠ هـ، نشأ يتيما فقرأ القرآن وتعلم القراءآت والفقه، وبرع في الفقه الحنبلي أصولاً وفروعاً، فتولي التدريس ثم القضاء، من مصنفاته: «العدة»، «العمدة»، «شرح مختصر الخرقي»، «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، «الأمالي»، «الإيمان» وغيرها، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ٤٥٨ هـ.
ينظر ترجمته في [تاريخ بغداد: ٢٥٦/٢ (٧٣٠)، طبقات الحنابلة: ١٩٣/٢ ـ ٢٣٠، سير أعلام النبلاء ٨٩/١٨ ـ ٩٢، الوافي بالوفيات: ٧/٣ ـ ٨ (٨٦٣)، المنهج الأحمد: ١٢٨/٢ ـ ١٤٢ (٦٧٢)].

(٤) هو: محفوظ بن أحمد، أبوالخطاب الكلوذاني، نسبة إلي «كلواذي» قرية أسفل بغداد، ولد سنة ٤٣٢ هـ، من كبار فقهاء الحنابلة، من مصنفاته: «التمهيد»، «الهداية»، «الانتصار»، «رؤوس المسائل»، «التهذيب»، وغيرها، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ٥١٠ هـ.
ينظر ترجمته في [طبقات الحنابلة: ٢٥٨/٢ (٧٠٢)، سير أعلام النبلاء: ٣٤٨/١٩ ـ ٣٥٠، المنهج الأحمد: ٢٣٣/٢ ـ ٢٤٢ (٧٤٠)، شذرات الذهب: ٢٧/٤ ـ ٢٨].

(٥) المعتمد: ١٠/١.

يتبين أنهم وافقوا أهل اللغة فى أن (لفظ) و(كلام) لفظتان مترادفتان، وخالفوهم فى ثلاثة أمور:

الأول: أنهم شرطوا الإفادة فى المعنى فقالوا كل لفظة لا معنى لها لا تسمى كلاما.

الثانى: أنهم شرطوا الاستعمال، أى كون اللفظ مستعملا فإذا كان مهملا فلا يسمى عندهم كلاما، يقول الرازى: [قولنا المتواضع عليها إحتراز عن المهملات] (٢).

الثالث: أنهم شرطوا الانتظام فى الحروف احترازا عن الحرف الواحد فلا يسمى عندهم كلاماً وإن كان مفيدا معنى كـ(ق) و(ع)، بينما هو عند اللغويين كلام وخالفوا أهل النحو فى أمرين:

الأول: أنهم لم يشترطوا التركيب، فالكلمة عندهم تسمى كلاما بينما هى عند أهل النحو ليست كذلك، يقول الفخر الرازى: [كون الكلمة المفردة كلاما هو قول الأصوليين، والنحاة أجمعوا على فساد ذلك] (٣).

الثانى: أنهم اختلفوا فى اشتراط الإسناد، فاشترطه جمع منهم موافقة للنحويين، وخالف فى ذلك أخرون يقول الآمدى(٤): [إختلفوا فيما اجتمع من كلمات وهو غير مفيد، كقول القائل: زيد لا كلما، ونحوه، هل هو كلام؟ فمنهم من قال إنه

(١) أنظر: المحصول، للرازي: ٢٣٦/١/١، الإحكام، للآمدي: ٥٥/١.
(٢) المحصول: ٢٣٧/١/١.
(٣) المحصول: ٢٣٨/١/١.
(٤) هو: علي بن محمد بن سالم التغلبي، سيف الدين الآمدي، الفقيه الأصولي، ولد بآمد سنة ٥٥١هـ نشأ حنبليا ثم تمذهب الشافعي، كان أصوليا جدليا، حسن الأخلاق سليم الصدر، كثير البكاء، من مصنفاته: «الإحكام في أصول الأحكام»، «منتهي السول»، «أبكار الأفكار»، «دقائق الحقائق في الحكمة، وغيرها، توفي - رحمه الله - سنة ٦٣١ هـ.
ينظر ترجمته في [وفيات الأعيان: ٢٩٣/٣ - ٢٩٤ (٤٣٢)، طبقات الشافعية، لابن السبكي: ٢٠٦/٨ (١٢٠٧)، طبقات الإسنوي: ١٣٧/١ - ١٣٩ (١٢٤)، طبقات ابن قاضي شهبة: ٩٩/٢ - ١٠١].

كلام، لأن آحاد كلماته وضعت للدلالة، ومنهم من لم يسمه كلاما](١).

الفريق الثاني:

وافق أهل النحو فى تعريفهم الكلام فاشترطوا فيه: اللفظ والإسناد والتركيب والإفادة، ولهذا عرفوه بأنه: (اللفظ المركب المفيد بالوضع) فخرج بقولهم: (اللفظ) غير الملفوظ، وبـ(المركب) اللفظ المفرد أى الكلمة الواحدة، وبـ(المفيد) غير المفيد عن أن يكون كلاما، وهو اختيار جمع من الأصوليين(٢) ومنهم إمام الحرمين الجوينى (٣) والرازى (٤). والغزالى (٥). والآمدى(٦) وسراج الدين الأرموى(٧).

(١) الإحكام: ٥٥/١.
(٢) أنظر: البرهان، للجويني: ١٧٧/١ - ١٧٨، المحصول، للرازي: ٢٣٩/١/١، المستصفي، للغزالي: ٣٣٤/١، الإحكام للآمدي: ٥٥/١ - ٥٦، التحصيل، للأرموي: ١٩٣/١، الواضح، لابن عقيل: ٩٥/١ شرح مختصر الروضة، للطوفي: ٥٤٧/١، شرح الكوكب المنير: ٥٩/٢، التقرير والتحبير ٨٧/١ - ٨٨.
(٣) هو: عبدالملك بن أبي محمد بن عبدالله بن يوسف بن حيوية، أبو المعالي إمام الحرمين الجويني، الفقيه الأصولي الشافعي، ولد سنة ٤١٩ هـ نشأ في بيت علم وصلاح، وكان أعلم أهل زمانه حتي نبه وصار مضرب الأمثال، من مصنفاته: «البرهان»، «الإشارة»، «الورقات»، «النهاية»، «غياث الأمم»، وغيرها، توفي - رحمه الله - سنة ٤٧٨ هـ.. ينظر ترجمته في [وفيات الأعيان: ١٦٧/٣ - ١٧٠ (٣٧٨)، طبقات ابن السبكي: ١٦٥/٥ - ٢٢٢ (٤٧٥) طبقات الإسنوي: ٤٠٩/١ (٣٩٧)، طبقات ابن قاضي شهبة: ٢٧٥/١ - ٢٧٧ (٢١٨)].
(٤) سبق التعريف به ص (٨) من هذا البحث.
(٥) هو: محمد بن محمد بن محمد، حجة الإسلام أبو حامد الغزالي، ولد بطوس سنة ٤٥٠ هـ، وتتلمذ علي يد إمام الحرمين الجويني، برع في الفقه والخلاف والجدل والأصلين والمنطق والحكمة والفسلفة، من مصنفاته: «المستصفي»، «المنخول»، «المكنون»، «شفاء الغليل» في أصول الفقه، «الوجيز»، «البسيط»، «الوسيط»، في الفقه، وله «إحياء علوم الدين» وغيرها، توفي - رحمه الله - سنة ٥٠٥ هـ.
ينظر ترجمته في (وفيات الأعيان: ٢١٦/٤ - ٢١٩ (٥٨٨)، سير أعلام النبلاء: ٣٢٢/١٩ - ٣٤٦ (٢٠٤)، طبقات ابن السبكي: ١٩١/٦ - ٣٨٩ (٦٩٤)، طبقات الإسنوي: ٢٤٢/٢ - ٢٤٥ (٨٦٠)].
(٦) سبقت التعريف به ص (٢٨) من هذا البحث.
(٧) هو: محمود بن أبي بكر بن أحمد، أبو الثناء سراج الدين الأرموي، ولد سنة ٥٩٤ هـ، كان فاضلا عالما، تولي قضاء قونية، من مصنفاته: «التحصيل»، «اللباب»، «البيان»، «المطالع» وغيرها توفي سنة ٦٨٢.
ينظر ترجمته في [طبقات ابن السبكي: ٣٧١/٨ (١٢٦٨)، طبقات الإسنوي: ١٥٥/١ (١٤٠)، طبقات ابن قاضي شهبة: ٢٦١/٢ - ٢٦٢ (٤٩٢)].

من الشافعية، وابن عقيل[1] والطوفي[2] . وابن النجار[3] من الحنابلة، يقول الآمدي[4] :[والواجب أن يقال: الكلام ما تألف من كلمتين تأليفا يحسن السكون عليه] [5].

(١) هو: علي بن عقيل بن محمد بن عقيل، أبو الوفا البغدادي، الفقيه الحنبلي، والنظار الأصولي، والواعظ المتكلم، ولد سنة ٤٣١ هـ، كان عالماً بارعاً متبحراً حتي صار شيخ الحنابلة في وقته، من مصنفاته «الفنون» «الواضح»، «التذكرة»، «الفصول»، «عمد الأدلة» وغيرها، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ٥١٣ هـ.
ينظر ترجمته في [طبقات الحنابلة: ٢/ ٢٥٩ (٧٠٥)، سير أعلام النبلاء: ١٩/ ٤٤٣ ـ ٤٥١ (٢٩٥)، المطلع: ص٤٤٤، المنهج الأحمد: ٢/ ٢٥٢ ـ ٢٧٠ (٧٤٧)، طبقات المفسرين، للداودي: ١/ ٤١٧].

(٢) سبق التعريف به ص (١٣) من هذا البحث.

(٣) هو: محمد بن أحمد بن عبدالعزيز بن علي ابن النجار الفتوحي المصري، الفقيه الحنبلي، والأصولي اللغوي، ولد بمصر سنة ٨٩٨ هـ، تبحر في العلوم الشرعية، ولي القضاء وإليه انتهت رياسة المذهب الحنبلي من مصنفاته: «الكوكب المنير» وشرحه المسمي «المختبر المبتكر شرح المختصر»، «منتهي الإرادات في جمع المقنع مع التنقيح وزيادات» وهو عمدة كتب المتأخرين، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ٩٧٢ هـ.
ينظر ترجمته في [النعت الأكمل: ص١٤١ ـ ١٤٢، السحب الوابلة علي ضرائح الحنابلة: ص ٣٤٧ ـ ٣٥٠، مختصر طبقات الحنابلة: ص٨٧].

(٤) سبق التعريف به ص (٢٨) من هذا الحديث.

(٥) الإحكام: ١/ ٥٦.
ويقوم إمام الحرمين: [الكلام هو المفيد، والمفيد جملة معقودة من مبتدأ وخبر، أو فعل وفاعل] البرهان: ١/ ١٧٧ ـ ١٧٨. ويقول الرازي:[الأولي أن نساعد أهل النحو ونقول:..... الكلام هو الجملة المفيدة] المحصول: ١/ ١/ ٢٣٩. وعرفه ابن عقيل بقوله: [هو الحروف والأصوات المنظومة للتفاهم عما في النفوس من الأغراض] الواضح: ١/ ٩٥. ويقول الطوفي: [الكلام: ما تضمن كلمتين بالإسناد، وهو نسبة أحد الجزءين إلي الآخر لإفادة المخاطب، وقيل: اللفظ المركب المفيد بالوضع] شرح مختصر الروضة: ١/ ٥٤٧.

المبحث الثالث

العلاقة بين الكلام والجملة

ومما يجدر ذكره في هذا المقام ما يذكره كثير من الأصوليين من التفرقة بين الجملة والكلام، فهل هناك فرق بينهما؟ أم هما لفظان مترادفان؟

إختلف علماء الأصول في هذه المسألة بناءً على اختلاف أهل النحو فيها، فهم في هذه المسألة على ثلاث فرق:

الفريق الأول:

جعل الكلام والجملة بمعنى واحد، فهما لفظان مترادفان، منهم الزمخشري[1] حين قال في «المفصل» بعد تعريفه الكلام: [ويسمى الجملة][2] وبعض الأصوليين[3] منهم إمام الحرمين[4] حين قال: [الكلام هو المفيد، والمفيد جملة معقودة من مبتدأ وخبر، أو فعل وفاعل][5] وبمثله قال الفخر الرازي[6] وكلام الآمدي[7] يدل على هذا المعنى[8].

(١) سبق التعريف به ص (٢٥) من هذا البحث.
(٢) ص: ٦.
(٣) أنظر: البرهان، للجويني: ١/ ١٧٧، المحصول، للرازي: ١/ ١/ ٢٣٩، الإحكام، للآمدي: ١/ ٥٦، التقرير والتحبير، لابن أمير حاج: ١/ ٨٧، الإقليد، للجندي: ١/ ١٥٨، الموصل، للسغناقي ١/ ٦١.
(٤) سبق التعريف به ص (٢٩) من هذا البحث.
(٥) البرهان: ١/ ١٧٧ ـ ١٧٨.
(٦) سبق التعريف به ص (٨) من هذا البحث.
(٧) سبق التعريف به ص (٢٨) من هذا البحث.
(٨) أنظر: المحصول: ١/ ١/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠، الإحكام، للآمدي: ١/ ٥٦.

الفريق الثاني:

جعل الكلام أعم من الجملة مطلقاً، فكل جملة عندهم تعد كلاماً، وليس كل كلام جملة، وهو مذهب اللغويين وكثير من الأصوليين، لنقل كثير من الأصوليين عن اللغويين أن الكلمة المركبة من حرفين فصاعداً كلام[1].

الفريق الثالث:

جعل الجملة أعم من الكلام مطلقا، منهم ابن مالك[2] وابن هشام[3] ووافقهم ابن الحاجب[4] وابن النجار[5] من الأصوليين[6].

وذكر التفتازاني[7] أنه الاصطلاح المشهور[8]، يقول ابن هشام[9]: [الكلام: هو القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد: ما دل على معنى يحسن السكوت عليه،

(١) انظر: المحصول: ٢٣٨/١/١، الإحكام، للأمدي: ٥٥/١، التقرير والتحبير: ٨٧/١.
(٢) سبق التعريف به ص(٢٥) من هذا البحث.
(٣) سبق التعريف به ص(١٦) من هذا البحث.
(٤) هو: عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، كان أبوه حاجبا للأمير عزالدين يوسك الصلاحي فعرف ولده بذلك، ولد ابن الحاجب بإسنا سنة ٥٧٠ هـ تفقه على مذهب الإمام مالك وأتقنه، وتبحر في علم اللغة والأصول، من مصنفاته: «منتهي السول والأمل في علمي الأصول والجدل»، «مختصر المنتهي»، «الكافية» في النحو، «المقصد الجليل» في العروض، توفي - رحمه الله - سنة ٦٤٦ هـ.
ينظر ترجمته في [وفيات الأعيان: ٢٤٨/٣ - ٢٥٠ (٤١٣)، سير أعلام النبلاء: ٢٦٤/٢٣ - ٢٦٦، بغية الوعاة: ١٣٤/٢ - ١٣٥ (١٦٣٢)، شذرات الذهب: ٢٣١/٥].
(٥) سبق التعريف به ص (٣٠) من هذا البحث.
(٦) أنظر: بيان المختصر، للأصفهاني: ١٥٥/١ - ١٥٦، شرح الكوكب المنير: ١١٧/١ - ١٢٠.
(٧) هو: مسعود بن عمر بن عبدالله، سعد الدين السمرقندي التفتازاني، ولد سنة ٧١٢ هـ، برع في شتى العلوم وصنف في العقائد واللغة والبلاغة والنطق والأصول وغيرها، من مصنفاته: «شرحي التلخيص» «شرح العقائد»، «شرح الشمسية»، «الإرشاد» في النحو وغيرها، توفي سنة ٧٩٢ هـ.
ينظر ترجمته في [الدرر الكامنة: ١١٩/٥ - ١٢٠ (٤٨١٤)، الدليل الشافي على المنهل الصافي: ٧٣٤/٢ (٢٥٠٦)، بغية الوعاة: ٢٨٥/٢ (١٩٩٢)، شذرات الذهب: ٣١٩/٦ - ٣٢٢].
(٨) نسب ذلك له ابن أمير حاج في: التقرير والتحبير: ٨٨/١.
(٩) مغني اللبيب: ٣٧٤/٢.

عبارة عن الفعل وفاعله كـ(قام زيد) والمبتدأ وخبره كـ(زيد قائم)، وما كان بمنزلة أحدهما نحو (ضرب اللص) و(أقائم الزيدان؟) و(كان زيد قائماً) و(ظننته قائما) وبذلك يظهر لك أنهما ليسا بمترادفين كما يتوهمه كثير من الناس، وهو ظاهر قول صاحب «المفصل» فإنه بعد أن فرغ من حد الكلام قال: ويسمى جملة، والصواب أنها أعم منه، إذ شرطه الإفادة بخلافها، ولهذا تسمعهم يقولون: جملة الشرط، جملة الصلة، وكل ذلك ليس مفيداً، فليس بكلام].

العلاقة بين الكلام والكلم والكلمة:

الكلام ما سبق تعريفه، **أما الكلمة** فقال أهل النحو هي: لفظ دل بالوضع على معنى مفرد، وجمعه (كلم) **فالكلم**: اسم جنس جمعي، واحدة كلمة، ومعنى كونه اسم جنس جمعي: أنه يدل على جماعة، وإذا زيد على لفظه تاء التأنيث فقيل «كلمة» نقص معناه وصار دالاً على الواحد، ونظيره لبن ولبنة، ونبق ونبقة[1].

ووافقهم كثير من الأصوليين على ذلك[2] يقول الفخر الرازي[3]: [الأولى أن نساعد أهل النحو ونقول: كل منطوق به دل بالاصطلاح على معنى فهو كلمة][4].

فتبين أن بين الكلام والكلم عموماً وخصوصاً من وجه، فبعض الكلم كلام وهو ما إذا اشتمل على الإسناد المفيد نحو: زيد في الدار، وبعض الكلام كلم وهو ما إذا تضمن ثلاث كلمات فصاعداً، لأن الكلم جمع وأقله ثلاث، فقولنا: زيد في الدار، كلام

(١) انظر: المفصل: للزمخشري: ص٦، أوضح المسالك، لابن هشام: ١١/١، الإقليد، للجندي: ١٥٠/١، المساعد في التسهيل: ٤/١ - ٥، شرح ابن عقيل: ١٥/١، الكليات، للكفوي: ١٠١/٤.
(٢) أنظر: البرهان: للجويني: ١٧٨/١، المحصول، للرازي: ٢٣٩/١/١، الإحكام، للآمدي: ٥٦/١، التحصيل، للأرموي: ١٩٣/١، بيان المختصر، للأصفهاني: ١٥٢/١، شرح مختصر الروضة للطوفي: ٥٤٠/١، شرح الكوكب المنير، لابن النجار: ١٠٨/١.
(٣) سبق التعريف به ص (٨) من هذا البحث.
(٤) المحصول: ٢٣٩/١/١.

لا كلم، وقولنا: زيد قائم، كلام لا كلم، وقولنا: زيد من عن هل، كلم لا كلام، وقولنا: من عن، لا كلام ولا كلم [1].

وبهذا يتبين أن اللفظ أعم من الكلمة، لأنه مأخوذ فى حدها، فاللفظ جنس والكلمة نوع له، وإنما يؤخذ فى الحد جنس ذلك الشىء كما أخذ الصوت فى حد اللفظ [2].

أما الكلمة في إصطلاح المناطقة:

فهى لفظ منفرد دال على معنى، ويدل بهيئته وصيغته على زمان ذلك المعنى المحصل بأحد الأزمنة الثلاثة ـ الماضى أو الحاضر أو المستقبل ـ وهى ما يرادف (الفعل) عند النحاة.

ومن خواص الكلمة عندهم: أنها تكون أبداً خبراً لا مخبراً عنه، ومحمولاً لا موضوعاً.

وقد اتفق المناطقة على أن اللفظ (المفرد) إذا دل بهيئته على الزمان الماضى كـ(ضرب) و(حضر) و(قام) و(قعد) فهو من قبيل (الكلمة)، واختلفوا فى الدال على الزمان والحاضر أو المستقبل:

ـ فالأكثر جعله من قبيل (الكلمة) أيضا.

ـ وبعضهم خالف فى ذلك وقال: إن مثل (يضرب) فى الزمان الحاضر ومثلها فى المستقبل أو (إضرب) بصيغة الأمر إنما هو من قبيل (المركب) لا من قبيل (المفرد) فهو مركب من الماضى (ضرب) وحرف المضارعة الذى أنسد إليه ذلك الفعل، أو الضمير المستتر فى الأمر [3].

(١) انظر: أوضح المسالك: ١٢/١، شرح ابن عقيل: ١٦/١، الكليات، للكفوي: ١٠١/٤.
(٢) انظر: شرح مختصر الروضة، للطوفي: ٥٤١.
(٣) أنظر ذلك كله في: تلخيص كتاب أرسطوطاليس، لابن رشيد: ص٢٧ ـ ٣٣، تحرير القواعد المنطقية للقطب الرازي: ص ٣٦ ـ ٣٨، شرح الخبيصي علي تهذيب المنطق: ص٢٧، التقرير والتحبير، لابن أمير حاج: ٨٢/١ ـ ٨٣، شرح الكوكب المنير: ١٠٩/١.

المبحث الرابع

العلاقة بين اللفظ والقول

سبق فى أول المبحث أن أهل اللغة لم يفرقوا بين اللفظ والقول والكلام، فكلها عندهم بمعنى واحد [1]. وتبين من اصطلاح أهل النحو أنهم يفرقون بين معنى الكلمة والكلم والكلام، ومن باب أولى تفريقهم بين معنى اللفظ والقول والكلام.

فالقول هو:

اللفظ الدال على معنى [2]. فهو أعم من الكلام والكلم والكلمة عموما مطلقا ولكن اللفظ أعم منه، لأن اللفظ جنس للقول فيكون أعم منه كما سبق بيانه فى تعريف اللفظ [3].

ووافق أهل النحو فى ذلك أهل الأصول، ولكنهم اختلفوا فى ذلك المعنى: هل هو المعنى الذهنى ـ أى ما يتصوره العقل سواء طابق ما فى الخارج أو لا ـ؟ أم هو المعنى الخارجى ـ أى الموجود فى الخارج ـ ؟ أم هو اللفظ الدال على المعنى من حيث هو معنى بقطع النظر عن كونه معنى ذهنيا أو خارجيا؟ على ثلاثة أقوال ليس هذا مجال بسطها [4].

(١) أنظر ص (١٥ ـ ١٦) من هذا المبحث.
(٢) أنظر: أوضح المسالك: ١٢/١، الرشاد شرح الإرشاد: ص٦٢، شرح ابن عقيل: ١٦/١.
(٣) ص (١٨) من هذا البحث.
(٤) أنظر: شرح الكوكب المنير، لابن النجار: ١٠٥/١ ـ ١٠٦.

ولذلك نجد جمال الدين الإسنوى[1] في كتابه «نهاية السول» كثيرا ما يحترز في الحدود عن كلمة (لفظ) ويستبدلها بكلمة (قول) أو (كلمة)، ويعلل ذلك بأن اللفظ جنس بعيد يطلق على المستعمل والمهمل، وهو مجتنب في الحدود[2].

وخلاصة ذلك كما جاء في «الكليات»: [ما خرج من الفم إن لم يشتمل على حرف فهو (صوت)، وإن اشتمل ولم يفد معنى فهو (لفظ)، وإن أفاد معنى فـ(قول)، فإن كان مفرداً فـ(كلمة)، أو مركبا من اثنين ولم يفد نسبة مقصودة فـ(جملة)، أو أفاد ذلك فـ(كلام) أو من ثلاثة فـ(كلم)][3].

أما القول في اصطلاح أهل المنطق:

فهو أخص من ذلك كله فهو عندهم: اللفظ المركب في القضية الملفوظة،

أو المفهوم المركب في القضية المعقولة[4].

---

(١) هو: عبدالرحيم بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن إبراهيم الأموي، أبو محمد جمال الدين الإسنوي، ولد بإسنا سنة ٧٠٤ هـ، نشأ في بيت علم، وتفقه علي أبيه وأخيه وعمه وغيرهم، تمرس بكتب الإمام الشافعي، وأصبح واسع الاطلاع فيها، شارك في كثير من العلوم، من مصنفاته: «التمهيد» «نهاية السول»، «الكوكب الدري»، «مطالع الدقائق»، «المهمات»، «الاشباه والنظائر» وغيرها كثير، توفي - رحمه الله - سنة ٧٧٢ هـ.
ينظر ترجمته في [الدرر الكامنة: ٤٦٨/٢ (٢٣٩٩)، البدر الطالع: ٣٥٢/١ - ٣٥٣ (٢٣٥)، الدليل الشافي: ٤٠٩/١ (١٤٠٨)، بغية الوعاة: ٩٢/٢ - ٩٣ (١٥١٨)، شذرات الذهب: ٢٢٣/٦].

(٢) أنظر على سبيل المثال: نهاية السول، للإسنوي: ٣٦/٢، ٢٣٠، ٣١٥.

(٣) للكفوي: ١١٩/٣ - ١٢٠.

(٤) أنظر: التعريفات: ص ١٤٦، التوقيف: ص٥٩٤، دستور العلماء: ١٠١/٣.
والقضية: هي الجملة الخبرية، أي: ما يصح أن يقال لقائلها: إنه صادق فيها أو كاذب، ويقال في تعريفها: مركب احتمل الصدق والكذب لذاته.
أنظر: معيار العلم: ص٧٩، إيضاح المبهم: ص٦٠، الحدود البهية في القواعد المنطقية: ص٣٣، آداب البحث والمناظرة: ٤٧/١، التعريفات: ص١٤٤.

فالقول عندهم لابد وأن يكون قضية حملية، والحملية هي الخبرية، وهي المكونة من محمول وموضوع، أو مبتدأ وخبر، يدل كل منهما على معنى مفرد، كقولنا: محمد مجتهد، فإن لفظ (محمد) هو الجزء الأول من هذا القول يدل على شيء مفرد، وكذلك لفظ (مجتهد)، فالقول عندهم هو ما يحقق معنى الجملة عند النحاة[1].

ثم بعد هذا كله لا يمتنع إطلاق بعض المصطلحات على بعض، جاء في التنزيل قوله تعالى: (وكلمة الله هي العليا)[2] أي: كلامه، وقال تعالى: (وألزمهم كلمة التقوى)[3] أي: بسم الله الرحمن الرحيم، وقال تعالى: (إليه يصعد الكلم الطيب)[4] أي: الكلام، وقال تعالى: (ذلك عيسى بن مريم قول الحق)[5] ويقال عن الجملة التالية (لا إله إلا الله) كلمة التوحيد[6]، وهكذا.

---

(١) أنظر: تلخيص كتاب أرسطوطاليس، لابن رشد: ص٤٠ - ٤٥.
(٢) من آيه (٤٠) من سورة التوبة.
(٣) من آيه (٢٦) من سورة الفتح.
(٤) من آيه (١٠) من سورة فاطر.
(٥) من آيه (٣٤) من سورة مريم.
(٦) أنظر: تهذيب اللغة: ٢٦٤/١٠ - ٢٦٥، شرح ابن عقيل: ١٦/١، الكليات: ٩٨/٤ - ٩٩.

الخاتمة

بعد هذا العرض يظهر لنا أن:

اللفظ فى اللغة عبارة عن كل ما يلفظه الإنسان من فمه بشرط أن يبين منه حرف أو حرفين.

فإذا لم يتبين منه حرف فهو مجرد صوت، تختلف تسميته باختلاف ما يعرض له، قد يكون ضحكا وقد يكون بكاء وقد يكون صراخاً.

أن الصوت أعم من اللفظ مطلقاً، فبينهما عموم وخصوص مطلق، لأن اللفظ أحد أنواع الصوت الذى يصدره الإنسان، ولذا أخذ فى حده فقيل: اللفظ هو صوت مسموع معتمد..... كما سبق تعريفه.

أن اللفظ فى الإصطلاح هو: ما انتظم من الحروف وكون كلمة أو أكثر سواء أفاد معنى أو لم يفد.

أن الكلمة هى: لفظ دل على معنى مفرد.

والكلام: ما تألف من كلمتين فأكثر تأليفاً يحسن السكوت عليه.

أن اللفظ أعم من القول والكلمة والكلم والكلام.

أن بين اللفظ والكلمة عموم وخصوص مطلق، فاللفظ أعم مطلقا والكلمة أخص مطلقاً، لذا فكل لفظ كلمة، وليست كل كلمة لفظاً، ولذا أخذ فى حد الكلمة فقيل: الكلمة لفظ دل على معنى.

أن بين اللفظ والكلام أيضاً عموم وخصوص مطلق، فكل كلام ولو طال فهو لفظ، وليس كل لفظ كلاماً.

أن بين اللفظ والقول عموم وخصوص مطلق أيضاً، فكل قول لفظ، وليس كل لفظ قولا.

أن بين القول و(الكلمة والكلام) عموم وخصوص مطلق أيضاً لأن القول ـ كما سبق بيانه ـ لفظ أفاد معنى، فإن كان المعنى مفرداً فهو: (الكلمة) وإن كان مركبا فهو: (الكلام).

أن القول وان كان أعم من الكلمة والكلام، إلا أن اللفظ أعم منه، فالقول جنس للكلمة، واللفظ جنس للقول، وعليه فكل كلمة قول، وكل قول لفظ، فيظهر من هذا أن اللفظ جنس بعيد للكلمة.

ما كان من جنس الألفاظ فالأولى فى حده أن يقال: هو الكلمة التى من شأنها كذا.....، فالكلمة هى الجنس القريب، وإن بعد قليلا قيل: هو القول الذى من شأنه كذا.....، وإن بعد أكثر قيل: هو اللفظ الذى من شأنه كذا.....، ثم يأتى بالفصل واحترازاته، لأن من شرط الحد التام الجنس القريب لا البعيد.

هذا وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،

والحمد لله رب العالمين

تم بحمد الله

الفهـــرس

الصفحة

المقدمة ٣٣٧
تمهيد ٣٣٧
المبحث الأول ٣٣٩
خطة البحث ٣٣٩
المبحث الثاني ٣٤٠
منهجي في هذا البحث ٣٤٠

الفصل الأول

المبحث الأول
سبب اختيار الموضوع ٣٤٣
المبحث الثاني
الدراسات السابقة لهذا البحث ٣٤٦
المبحث الثالث
اللفظ أحد وسائل التعبير ٣٤٧
أسباب تفضيل الخطاب على غيره من الوسائل ٣٤٨
المبحث الرابع
تعريف اللفظ فى اللغة والاصطلاح ٣٥١
تعريف اللفظ فى اللغة ٣٥١
تعريف اللفظ فى الاصطلاح ٣٥٢

الصفحة

الفصل الثانى

المبحث الأول
العلاقة بين اللفظ وغيره ٣٥٧
العلاقة بين اللفظ والصوت ٣٥٩
الصوت ٣٥٩
اللفظ ٣٦٠
المبحث الثاني
العلاقة بين اللفظ والكلام ٣٦٢
الكلام فى اللغة ٣٦٢
الكلام فى اصطلاح النحاة ٣٦٢
شروط الكلام عند النحاة ٣٦٣
الكلام فى اصطلاح أهل الأصول ٣٦٤
المبحث الثالث
العلاقة بين الكلام والجملة ٣٦٩
العلاقة بين الكلام والكلمة والكلم ٣٧١
الكلمة فى اصطلاح أهل المنطق ٣٧٢
المبحث الرابع
العلاقة بين اللفظ والقول ٣٧٣
القول فى اصطلاح أهل المنطق ٣٧٤
الخاتمة ٣٧٦
الفهارس ٣٧٨